دور العصبية القبلية في تأسيس الملك "الدولة الحمادية نموذجا"

الأستاذ/ إلياس حاج عيسى

أستاذ مساعد أ– جامعة تيارت

الملخص:

ساهمت العصبية القبلية بشكل فعَّال في تكوين الجيوش وتأسيس الدول بالمغرب الوسيط، من هذه الدول نجد: الدولة الفاطمية التي قامت على عصبية كتامة، و الدولة المرابطية التي قامت على عصبية لمتونة، و الدولة الموحدية التي قامت على عصبية مصمودة. وتعتبر الدولة الحمادية مثالا ينطبق عليه نفس المبدأ، إذ قامت هي الأخرى على عصبية صنهاجة.

نعالج من خلال هذا الموضوع: قدرة صنهاجة على تكوين نظام عسكري ساندت به دولة الفواطم، ثم استفادت منه في تأسيس كيان سياسي. ثم استطاع أن يخضع عصبيات أخرى (زناتة مثلا) وحماية الفضاء الجغرافي للدولة. لكن الإشكال القائم أن خضوع زناتة كان مؤقتا، والسبب الرئيسي كما يبدو أن العصبية الحاكمة تعاملت مع العصبيات المحكومة بمبدأ "غالب ومغلوب" وليس بمبدأ "الشريك"، وربما كانت زناتة لا ترضى بمبدأ الشريك، فالعداء مستحكم بين العصبيتين حتى قبل أن تؤسس صنهاجة دولة.

انضمام عناصر بشرية جديدة إلى التنظيم العسكري للدولة (قبائل زناتية، قبائل أعرابية) ومدى انسجامها مع العصبية الرئيسية المكونة للتنظيم (صنهاجة)، وبالتالي البحث في دوافع انضمام تلك العناصر. والملاحظ أن تلك العناصر كان يجمعها حلف مع الدولة قائم على أسس منها: المصلحة المتبادلة، وقوة تأثير العصبية الحاكمة، مما يدفعنا إلى البحث عن "إشكالية الولاء" اتجاه الدولة القائمة من طرف العناصر المشكلة للتنظيم العسكري.

يعتبر الجيش هو صمام الأمان للدول قديما وحديثا، بقوته تنشأ الدولة وبانسجامه تستمر وبضعفه تنهار وتسقط. يبقى أنه وفيما يتعلق بتاريخ المغرب عموما و الأوسط خاصة في الفترة الوسيطة فقد عرف الجيش بملازمته لمبدأ العصبية، فلا تكاد تجد جيشا أقام دولة إلا وتجد عصبية قبلية من وراءه[1].

وفيما يتعلق بموضوع العصبية لا نكون مبالغين إذا قلنا أن أحسن من بحث فيها هو ابن خلدون، وتبدو قيمة أعماله في أن الباحثين المعاصرين في مجالات التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع اهتموا بالبحث في نظرياته ومدى صحتها، فألفوا وطبعوا الكتب والأبحاث الكثيرة ولا يزالون، كل في مجال اختصاصه.

على ضوء هذه الثنائية بين العصبية والجيش سنحاول من خلال هذه المداخلة البحث فيما يلي:

* العوامل المساعدة في تكوين الجيش الحمادي، ونركز من خلال هذا العنصر على ثلاثة عوامل هي: الطموح و الرغبة في تأسيس ملك مستقل، تبني ومساندة فكرة دينية، والعامل الأخير هو كثرة الأتباع[2].

* العناصر المكونة للجيش وإشكالية الولاء، ونتطرق من خلال هذا العنصر إلى تعداد الجيش والعصبيات المكونة له، وهي ثلاثة (صنهاجة، زناتة، القبائل الأعرابية)، بالإضافة إلى عنصر العبيد. مع التركيز على إشكالية الولاء عند هذه

1-على سبيل المثال لا الحصر: الدولة الفاطمية-عصبية كتامة، الدولة المرابطية-عصبية لمتونة، الدولة الموحدية-عصبية مصمودة. للتوسع حول موضوع العصبية القبلية، أنظر: ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، مقدمة ابن خلدون، تصحيح وفهرسة: أبو عبد الله السعيد المندوه 1/2، بيروت-لبنان، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط03، (د.ت). وانظر كذلك: بوزياني الدراجي، العصبية القبلية، الجزائر، دار الكتاب العربي، ط01، 2003م.

2-نكتفي بهذه الدوافع التي ركز عليها ابن خلدون في مقدمته

العناصر اتجاه الدولة. ونختم هذا العنصر بظاهرة شهدتها دول الفترة الوسيطة تتمثل في اعتماد الحكام على عصبيات وعناصر أجنبية، و محاولة الاستقواء بها.

* نقوم من خلال هذا العنصر بطرح ثلاثة مبادئ عادة ما تقوم على أساسها الدول، وهي: نصرة الدين والمذهب أو فكرة دينية، نصرة العصبية القبلية، ونصرة العدل. ونحاول أن نسقط هذه المبادئ على الدولة الحمادية من خلال بعض المحطات التاريخية.

عوامل تكوين الجيش وتأسيس الدولة

قامت الدولة الزيرية على أكتاف تلكاتة وهي من أهم بطون قبيلة صنهاجة، ثم انشقت عن هذه الدولة دولة أخرى في المغرب الأوسط، فأصبحت الدولة الباديسية في إفريقية، والدولة الحمادية في المغرب الأوسط. وهناك مجموعة من العوامل التي ساعدت حماد على تأسيس دولته في المغرب الأوسط، وهي عوامل نعتقد أن لها علاقة وثيقة بمسألة العصبية القبلية، منها مثلا:

-الرغبة في تحقيق الملك:

يستند هذا العامل الأساسي إلى عوامل فرعية أخرى تتمثل في:

*استعانة الدولة الفاطمية في فترة من فترات حكمها بقبيلة صنهاجة والاستقواء بها.[1]

*اختيار حماد لحيز جغرافي بعيد عن مركز الإمارة الزيرية التي استقرت في إفريقية، و هو العامل الأهم في تقديري، لأن هذا المجال الذي اختاره حماد للتحرك فيه هو المعقل الرئيسي لقبيلة صنهاجة، و هو نفس الحيز الذي تحركت فيه صنهاجة قبل رحيل الفاطميين، وفيه بدأت طموحات الأمير زيري عندما أسس مدينة أشير، فعندما رحل الأمراء الزيريون إلى إفريقية لخلافة السلاطين الفاطميين تخلوا عن المعاقل الرئيسية لقبيلة صنهاجة، وابن خلدون يجعل الامتداد

1-ابن خلدون، المقدمة 1/2، ج1، ص148.

الجغرافي لقبيلة تلكاتة الصنهاجية وحدها يمتد مابين المغرب الأوسط وإفريقية [1]! و كانت مواطنهم الأولى بالمسيلة إلى حمزة إلى جزائر بني مزغنة[2] ولمدية ومليانة[3]، وربما امتدت مواطن صنهاجة من جهة الغرب إلى حد تاهرت، فبعض المصادر الاباضية ترى أن موضع تاهرت قبل تأسيس المدينة كان ملكا لقوم من منداس وصنهاجة،[4] فأراد عبد الرحمن بن رستم أن يشتريه منهم.

- تأييد ومساندة فكرة دينية:

إن الشيء الذي لا يمكن تجاهله هو أن عصبية صنهاجة إنما قامت على دعم الدعوة الشيعية الاسماعيلية، إذ تبدو الفكرة الدينية من الطرق المختصرة التي تسهل على العصبية القبلية تكوين دولة، بمعنى أن الدعوة الدينية تزيد الدولة قوة على قوة عصبيتها التي كانت لها،[5] ويؤكد هذا التوجه عند الحماديين مؤرخ عاش في زمن ليس بالبعيد عنهم في أنهم "من شيعة بني عبيد وأتباعهم والقائمين بدعوتهم،...، وهم الذين أظهروها ونشروها ونصروها."[6] وللتأكيد على الملازمة الموجودة بين الطموحات الشخصية لمؤسس الدولة الحمادية من جهة،

1-ابن خلدون (أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد) (732-808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، عَمَّان-الأردن، بيت الأفكار الدولية، (د.ت)، ص1630.إذا كانت هذه المنطقة الجغرافية الكبيرة تمثل حيزا خاصا لبطن واحد من بطون صنهاجة، فهذا دليل آخر على عامل الكثرة عند هذا القبيل.

2-الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد) (ت670هـ)، طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، تح: ابراهيم طلاي، (د.م)، (د.ن)، (د.ت)، ص352.

3- كانت هذه المناطق إلى نهاية الفترة الوسيطة معاقل لقبائل أعرابية ممثلة في بني يزيد وحصين والعطاف من قبيلة زغبة، وكذلك قبيلة الثعالبة. ابن خلدون، العبر، ص1630.

4-الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص44.

5- ينظر ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص167.

6- المراكشي (عبد الواحد بن علي) (ت647هـ) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط02، 1426هـ/2005م، ص145.

وبين تقديسه للمرجعية الدينية "الاسماعيلية" يذهب أحد الباحثين إلى أن اختيار حماد لموقع القلعة كعاصمة جديدة لمملكته يحمل هذا المعنى، إذ يرجح أنها بنيت على أنقاض قلعة الحجارة والتي كانت من قبل مصلى الخليفة الفاطمي المنصور عند محاصرته لقلعة كيانة التي لجأ إليها الثائر أبي يزيد مخلد ابن كيداد. وأن اختياره لهذا الموقع يحمل خلفية تاريخية مرتبطة بمرجعية مذهبية دينية تبرر له الاستقلال ببلاد المغرب الأوسط، وهذا ما يفسر تخليه عن أشير وارتباطه بمكان له علاقة بالخلافة الفاطمية.[1] لكن ورغم حرص الأمراء الصنهاجيون ومنهم الحماديون على إضفاء هالة القداسة الشرعية على ملكهم ممثلة في نصرة المذهب الشيعي الاسماعيلي، إلا أن الأحداث بينت أن هذه النصرة لم تكن قائمة على قناعة حقيقية، بدليل كثرة الناقمين على الدولة الفاطمية بعد سنوات قليلة من تأسيسها، إذ تعتبر ثورة أبو يزيد وما جمعته من مذهبيات مختلفة (نكارية، اباضية وهبية، مالكية) دليل قوي على فشل المرجعية الشيعية في إثبات نفسها ببلاد المغرب. وفي حالة الدولة الحمادية فيكفي الاستدلال بأن أول الامراء الحماديين بادر إلى فض الارتباط المذهبي بالخلافة الفاطمية، وعوضه بالخلافة العباسية[2] راعية المذهب السني، لكن الحماديين لم يستقروا على حال واحد، فبعد أن قطع الزيريون علاقتهم بالفاطميين عادوا هم لربطها من جديد[3]! فبقي الاحتمال

1-علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الاسلامي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008م، ص86.

2-تعويض صنهاجة ولاءها الفاطمي بالعباسي يؤكد القطيعة مع القاهرة أكثر من كونه دليل على ارتباط جديد مع بغداد. أنظر: شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج02، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، الدار التونسية للنشر، النشرة03، 1985م، ص91.

3-جوليان، نفس المرجع، ج02، ص96. ألفرد بل، الفرق الاسلامية في الشمال الإفريقي، تر: عبد الرحمن بدوي، بيروت-لبنان، دار الغرب الاسلامي، ط03، 1987م، ص207.

الأكبر من اختيار صنهاجة لصف الدولة القائمة هو المصلحة السياسية و العسكرية التي تسمح لها بالظهور على مسرح الأحداث.

-كثرة الأتباع:

بحيث يمكن العدد الكبير، القبيلة من التوسع والاستحواذ على أكبر عدد من المدن والقرى. وفي حالة قبيلة صنهاجة يتفق أكثر من مؤرخ أنها من أوفر قبائل البربر ومن أكثرها عددا خاصة في فترة حكم الفاطميين وأثناء حكمهم، كما لا يخلو قطر من اقطار المغرب من أحد بطونها حتى زعم كثير من الناس أنهم يشكلون ثلث قبائل البربر ![1] وهي قاعدة كانت صالحة من قبل على قبيلة كتامة عندما كانت أعدادها كبيرة حيث يرى ابن خلدون أنها كانت أكثر عددا من صنهاجة! مما سمح لها بحمل دعوة العبيديين. ويؤكد بهذا ابن خلدون ما كان قد ذهب إليه الإدريسي من قبله عندما قال أن كتامة كان عددها كثير وكانت تشكل شعوبا وقبائل، ولكنه ركز على عامل واحد لنقصان ذلك العدد حتى أصبح عددهم في عهده في حدود أربعة ألآف، ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في قلة عددهم: اقتران ذكرهم بالدعوة الشيعية العبيدية بعد رحيل الدولة وسقوطها، فكانت الدول القائمة في بلاد المغرب تنكرهم لهذا السبب، حتى صار الكثير منهم يفرون من نسبهم وينتسبون إلى قبائل أخرى. وسبب آخر انفرد به الادريسي هو: المبالغة في إكرام الضيوف بجعل أبناءهم يبيتون معهم مما جعلهم محل سخط الملوك ونكايتهم ![2]

1-ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص173. ابن خلدون، العبر، ص1629.

2- ابن خلدون، المقدمة، ص173. وانظر كذلك: ابن خلدون، العبر، ص1629. الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، حققه ونقله إلى الفرنسية محمد حاج صادق، Alger, office des publications universitaires, 1983، ص126.

الجيش الحمادي (عناصره وظاهرة الولاء)

قدمت لنا المصادر التاريخية أعدادا متباينة للجيش الحمادي في مناسبات مختلفة، مما جعل الباحثين يضعون أرقاما تقريبية لتعداد هذا الجيش، سواء تعلق الأمر بالجيش النظامي والمتمثل في العصبية الصنهاجية وفرقة "محتملة" من العبيد، أو تعداد الجيش بفرقه وعصبياته المختلفة في معارك معينة، أو تعداد القوة العسكرية المرابطة في كبريات المدن الحمادية كالقلعة.

نجد مثلا أن جيش حماد الذي خرج به من القلعة لملاقاة باديس كان في حدود ثلاثين ألفا[1]، وفي زمن الناصر كان يحرس القلعة إثنا عشر ألفا من فرسان صنهاجة وحدها[2]، وفي سنة 496هـ "زحف المنصور إلى تلمسان في جيوش عظيمة"[3].

على الرغم من أن الجيش الحمادي تكون في الكثير من المرات من عصبيات مختلفة ودخل بها معارك عديدة، إلا أن ذلك لم يكن دليلا على انسجام هذا الجيش. فمن حيث الشكل كان الجيش مقسما إلى فرق، والفرق ماهي إلا قبليات وعصبيات، و هذا التقسيم هو اقصى ما يمكن أن تتبعه بعض الدول في الفترة الوسيطة لتحقيق التفوق العسكري معتمدة على كثرة عددها، لأن بقاء كل عصبية تحت مسؤولية قائدها أو أميرها أثناء المعركة هو السبيل الوحيد لتحقيق التفوق والكفاءة.

1-ابن الأثير (أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب بعز الدين) (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، ج08، تح: أبي الفدا عبد الله القاضي، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط01، 1407هـ/1987م، ص86. ابن الخطيب (لسان الدين)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط وهو القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح و تع: أحمد مختار العبادي و محمد ابراهيم الكتاني، الدار البيضاء- المملكة المغربية، دار الكتاب، 1964م، ص86.

2-ابن الخطيب، نفس المصدر، ص94.

3-ابن الخطيب، نفسه، ص97.

من المؤكد أن صنهاجة هي المكونة لأهم فرقة عسكرية في الجيش الحمادي

-صنهاجة:

يشكل أفراد من قبيلة صنهاجة القوة الضاربة للجيش الحمادي منهم تتكون ركيزة الجيش، ومنهم يتكون الجيش النظامي للدولة (فرسان ورجالة) وهم في حالة تدريب مستمر فمعرفتهم بفنون القتال وخططه تكون أكبر، فهم من يتقدم الجيش دائما والفرق الأخرى تقوم بدور الداعم والمساند. ويتولى قيادة هذه الفرقة والجيش معا الأمير نفسه أو من ينوب عنه.[1]

تؤكد أخبار الدولة الحمادية أن أمراء الدولة لم يضمنوا دائما ولاء أفراد قبيلتهم، رغم الانتماء القبلي والعصبي المشترك للأمير والأتباع.

إن ظهور زيري بن مناد كقائد من تلكاتة لم يكن ليرضي بالضرورة جميع بطون صنهاجة، فظهرت صراعات وانقسامات بين أفخاد وبطون القبيلة الواحدة في سبيل الحد من طموح تلكاتة وقائدها، لكن يبدو أن زيري كانت له من الحنكة والكفاءة ما سمح له بتأديب خصومه وفرض نفسه وعشيرته من وراءه على سائر بطون صنهاجة الأخرى.[2]

وهذا حماد مؤسس الدولة يعترف وهو يصف الجيش الزيري بعد فكه لحصار القلعة بعد وفاة باديس بن المنصور، بأن أتباعه قليلوا الولاء له عكس الأمير الزيري، معبرا بقوله لأخيه إبراهيم وخاصته: "مثل هؤلاء يخدم الملوك! وصلت أنا إلى إفريقية في ثلاثين ألف فارس، ما منهم إلا من أحسنت إليه،

1-علي خلاصي وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الاسلامي إلى القرن 10هـ/16م، ضمن سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، 2007، ص71.

2-رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الاسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 1426-1427هـ/2005-2006م، ص74

وأنعمت عليه. فعدت إلى القلعة، وما بقي معي منهم إلا أقل من ستمائة، وأنا بين أظهرهم أرجى! وهذا ميت أطاعه هؤلاء كما كان حيًّا!"[1] إذا كان قول حماد حقيقة، فما هو السبب الذي جعل معظم أتباعه يفرون من حوله.

يدعي حماد أنه أحسن إلى جنوده وأنعم عليهم، ونحن نجد فيما بين أيدينا من مصادر رأيين متناقضين، الأول لابن الخطيب(ألف كتابه في الفترة مابين 774-776 هـــ)يقول فيه أن حماد كان شجاعا جوادا[2]

الثاني لابن الأثير (المتوفَّى سنة 630هـــ) يؤكد فيه أن أكثر عسكر حماد يكرهونه لقلة عطاءه[3]. إننا نلاحظ أن قول ابن الخطيب يتناسب مع اعترافات حماد، ولكنه بالمقابل لا يقدم تفسيرات لها وبالتالي يبقى التساءل دائما مطروحا. أما قول ابن الأثير فإنه يبدو لنا أكثر إقناعا[4]، خاصة إذا أضفنا إليه صفة اشتهر بها حماد وهي سفكه للدماء والاستهتار بها، عندها يمكن إيجاد تفسير للتساءل الذي طرحه حماد على نفسه وأخيه. كما يمكن أن يفسر قوله بالصعوبة التي وجدها في استمالة قبيلة صنهاجة لصالحه وهي التي اعتادت على أمير واحد ودولة واحدة.[5]

1-ابن عذاري المراكشي (ت بعد سنة 712هـــ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مج01، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط01، 2009 ، ص268.

2-ابن الخطيب، المصدر السابق، ص71.

3-ابن الأثير، المصدر السابق، ج08، ص08.

4-تعتبر مسألة عطايا الجند من المساءل المؤثرة في التاريخ العسكري للدول، فتأخيرها عن وقتها مدعاة لعد القتال بإخلاص وحماس، والشغب على الحاكم، وربما أدت إلى قتله، وقد يصل الجند إلى حد المطالبة بأجرة سنة مقدما أو أكثر. عن النظام العسكري الاسلامي، أنظر: أنور الرفاعي، النظم الاسلامية، دمشق-سوريا، دار الفكر، ط01، 1393هـــ/1973م، ص129 وما يليها.

5-كبر طموح حماد في الاستقلال بالمغرب الأوسط عندما سمح له ابن أخيه باديس بن المنصور بمحاربة زناتة والاستيلاء على ما أمكنه من بلاد المغرب الأوسط، على أن لا يستدعيه إلى إفريقية. أنظر: Kaddache Mahfoud, L'ALGERIE MEDIEVALE, ALGER-ALGERIE, SNED, 1982, p75.

أو ربما تكون الحادثة التي عبر عنها حماد تعكس الصعوبات التي يجدها أي قائد طموح في سبيل تأسيس ملك جديد، والأحداث التاريخية تؤكد أن حماد اجتاز تلك المرحلة الصعبة واستطاع أن يرسخ لحكم مستقل عن إفريقية. لكن الغريب أن حادثة مشابهة وقعت للناصر بن علناس بعد 50 سنة من تأسيس الدولة، في وقت كنا نعتقد أن الدولة بلغت استقرارا في تنظيماتها العسكرية، وإلا كيف نفسر النتيجة التي آلت إليها معركة سبيبة (سنة 457هـ) بحيث لم يبقى مع الناصر سوى مائتين،[1] وكان قد خرج في عدد كثير من صنهاجة وزناتة وعدي والاثبج،[2] وكان من أهم أسباب الهزيمة ما دبره تميم بن المعز الزيري من خرق واستمالة في صفوف جيش الناصر[3]! فإذا كان تميم قد استمال زناتة والأعراب حقا، فأين الجيش النظامي للدولة الذي أشارت إليه كتب الباحثين وأكدت على كثرته.[4]

-القبائل الأعرابية:

استفاد الحماديون كثيرا من محنة الزيريين أمام القبائل الأعرابية في معركة حيدران 443هـ/ واقتنعوا بضرورة اتباع أسلوب الاحتواء اتجاه هذه القبائل بدل أسلوب المواجهة، بل إن الدولتان الصنهاجيتان ستتنافسان على استمالة هذا الوافد الجديد بعدما خَبِرَا شدة بأسه في القتال، واستطاع القادة الحماديون الاستفادة من قوة القبائل الهلالية وضمها إلى الجيش. لكن علاقتها بالجيش الحمادي كانت من خلال حلف يكون مقابله كمية من المال يدفع لها،

1-ابن خلدون، العبر، ص1641.

2-ابن عذاري، المصدر السابق، ج01، ص299.

3-نفسه.

4-حول تعداد الجيش الحمادي أنظر وقارن بين: رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1397هـ/1977م، ص127. علي خلاصي وآخرون، المرجع السابق، ص67،68. عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، القاهرة-مصر، دار الشروق، ط01، 1400هـ/1980م، ص210.

وعلى هذا الأساس فهذه الفرق لا تذوب وسط الجيش "النظامي" بل تشكل "كراديس"[1] وتحمل كل قبيلة لواءً خاصا بها يكتب عليها عادة شعارات دينية للتحريض والتحفيز –حتى ولو كان العدو من نفس الدين والمذهب !– مثل "لا إله إلا الله" أو الملك لله" وربما اختير لكل فرقة لون خاص بها للتمييز[2]

إن من مظاهر انعدام الولاء في جيش الدولة الحمادية خاصة عند العناصر غير الصنهاجية، أن العنصر الهلالي يكون أحيانا في صفوف الجيش، مثلا أثناء غارة بلقين بن محمد على المغرب الأقصى، كما كان مع الناصر بن علناس في خطّة هجومه على إفريقية، ثم ما لبث أن انقلب عليه في عز المعركة[3]. ويبدو أن تمرد القبائل الأعرابية عن الجيوش النظامية في الفترة الوسيطة ظاهرة شائعة عاشتها دول أخرى غير الدولة الحمادية، ففي تقييم لمسار الدولة الموحدية يميل بعض الباحثين إلى لوم حكامها بسبب اعتمادها على القبائل الأعرابية في معاركها المغربية والأندلسية لما عرفت به من التمرد والعصيان، وعدم إصغائهم لأوامر القادة مما تسبب في خذلان الجيوش في كثير من المعارك.[4]

1–الكراديس: رؤوس العظام، واحدها: كُرْدُوسٌ. والكرَادِيسُ: كتائب الخيل، واحدها: كُرْدُوسٌ، شُبِّهت برؤوس العظام. الأزهري، تهذيب اللغة، باب كردس، للتوسع أكثر حول نظام الكراديس وأنظمة أخرى للجيوش الاسلامية، أنظر: فتحي زغروت، الجيوش الاسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، القاهرة–مصر، دار التوزيع والنشر الاسلامية، ط01، 1426هـ/2005م، ص246 وما بعدها.

2–موسى هيصام، الجيش في العهد الحمادي، ص28

3–رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص119. ويصف باحث آخر طبيعة هذه القبائل بالفوضى والارتزاق والانقسام، وهو الطابع الذي جعلهم عاجزين عن تأسيس ملك وتشييد دولة على الرغم من قضاءهم على صنهاجة افريقية بشكل فعلي. عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص179.

4–أبلت هذه القبائل البلاء الحسن عندما دخلت في خدمة الموحدين في البداية لكنها لم تستقر على حال. فتحي زغروت، المرجع السابق، ص118.

قبائل زناتة

لا تشير المصادر إلى بدايات العلاقة بين زناتة وصنهاجة وظروفها. وإنما تشير مباشرة إلى ظهور صنهاجة على مسرح الأحداث في عهد زعيمها مناد بن منقوش، عندما كان حاكما على أجزاء من إفريقية والمغرب الأوسط تحت السيادة السياسية لدولة الأغالبة.[1] وتشير المصادر إلى عداء مستحكم في شكل حروب وفتن بين صنهاجة في عهد زيري بن مناد، وجيرانه مغراوة من زناتة في المغرب الأوسط، وتواصل العداء واشتد أكثر عندما انحازت صنهاجة للفاطميين، ومالت زناتة إلى حكام الأندلس الأمويين.

تنقل لنا بعض المصادر مظاهر متطرفة من العداء بين القبيلتين، فمن غريب ما وجدناه في المصادر عن مظاهر الحقد بين صنهاجة وزناتة، ما يرويه النويري عن بلكين بن زيري عندما عزم على الثأر لمقتل والده، حيث قتل من زناتة الرجال وسبى النساء والأطفال، وأقام ثلاثة أيام مخيما في ساحة المعركة حتى اشتكى جيشه من رائحة الجثث، وأمر ألا يطبخ في قدر إلا على ثلاثة رؤوس من رؤوس القتلى ! كما أمر أن تجعل الجثث أكواما يصعد إليها للآذان للصلاة[2]! مظهر آخر من مظاهر العداء يتمثل في قصة أوردها الدرجيني عن شخصية زناتية اباضية يدعى أبو الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي وزجون المزاتي (من زناتة) من علماء الطبقة التاسعة (450-500هـ) عند اباضية المغرب "اشترى بإفريقية خرافا من السوق فلما استوجبها وجاء بائعها ليقبض الثمن قال له: (ارا) ومعنى هذه الكلمة بلغة صنهاجة: هات، فغلب على ظنه أنه صنهاجي، فدفع له ثمن الخرفان ثم تصدق بها، و لم يستجز اقتناء غنم غلب على

1-ابن خلدون، العبر، ص1630

2-النويري، نهاية الارب. نقلا عن محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص41.

ظنه أنه اشتراها من صنهاجي." [1] واجتهد الباحثون في معرفة أسباب وعوامل هذا العداء الذي استمر لفترة طويلة، خاصة أثناء فترة حكم الفاطميين والزيريين والحماديين والمرابطين. ومع ذلك لا يمكن أن نتحدث عن عداء دائم بين الطرفين، ففي الكثير من الحالات عقد الطرفان مصاهرات وتحالفات، يمكن وصفها بالمصلحية والمؤقتة.

ونفس القاعدة تنطبق على زناتة، حيث كانت علاقتها سيئة مع صنهاجة في عهد حماد وابنه القائد، وتأرجحت العلاقة في عهد بلقين والناصر والمنصور بين الحرب والمحالفة.[2]

و يظهر ولاء العصبيات الأخرى لعصبية صنهاجة بشكل منسجم أكثر عندما تنطلق الدولة من مبادئ دينية جهادية، ونلحظ ذلك جيدا مع الدولة المرابطية، حيث ساهمت معها عناصر زناتية في مشروعها الجهادي في الأندلس مثلما وقع في معركة الزلاقة.[3]

إن ما يمكن ملاحظته واستنتاجه حول الجيش الحمادي أنه كان يجمع بين متناقضين، الأول ظاهري وشكلي يعبر عن جيش قوي يضم عناصر متنوعة هي صنهاجة، وزناتة، وبنو هلال، والعبيد، قد يبلي هؤلاء البلاء الحسن في المعارك للظفر بأكبر قدر من الامتيازات والغنائم.

1-قد يكون هذا التصرف الغريب-حسب محقق الكتاب- سببه شدة وطأة صنهاجة على مواطن زناتة خاصة في منطقة الجريد وما يليها من بلاد أريغ و وارجلان، وكثرة الجبايات المفروضة على زناتة من طرف الفاطميين وخلفاءهم الزيريين أثناء فترة تبعيتهم للقاهرة، كما لا نستبعد أن تكون هذه الحادثة تمثل مظهرا من مظاهر الصراع المذهبي في تلك المنطقة. أنظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج02، الهامش ص408. جوليان، المرجع السابق، ص92.

2-بورويبة، المرجع السابق، ص118.

3-ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت-لبنان، دار الطليعة، ط01، 1998م، ص26.

أما الوجه الثاني فيعبر عن انعدام الولاء بين زناتة وبنو هلال من جهة وبين الدولة القائمة ممثلة في صنهاجة. فنجد القبائل المتحالفة مع صنهاجة تتخلى عنها بمجرد شعورها أن مصالحها مع الطرف الخصم، مثلما وقع في معركة "سبيبة"، عندما جمع الناصر بن علناس العديد من العصبيات حوله للهجوم على جيرانه الزيريين، لكن حنكة الأمير تميم وإغراءاته المالية جعلت حلفاء الناصر يتحولون عنه في عز المعركة ! [1]

العبيد

استعملت معظم دول المغرب والأندلس خلال القرنين 5-6هـ/11-12م، فرقة عسكرية عرفت باسم "الخدم"، أو "العبيد"، أو "الحشم"[2]، فقد ظهر المصطلح عند الزيريين جيران الحماديين وأبناء عمومتهم، تارة بلفظ "عبيد"

1-يرى مؤرخ معاصر أن ماقام به المعز بن زيري بن عطية الأمير الزناتي اتجاه الناصر هو خيانة. بورويبة، المرجع السابق، ص64. ويرى آخرون أن ما قام به حلفاء الناصر يشبه عمل المرتزقة اليوم. أنظر: علي خلاصي وآخرون، المرجع السابق، ص73. في حين نرى أنه يصعب توزيع الاتهامات بهذا الشكل لاعتبارات عديدة:

-أن تعريف الولاء للدولة يختلف بين الفترة الوسيطة والفترة المعاصرة

-أن مسألة الخيانة قد تنطبق على من يختار عدوا مخالفا في الدين والثقافة كمحاربة النصارى في الأندلس مثلا، وهي أمور لا تنطبق على الحالة المعروضة.

-أن معارضة الدولة القائمة لا يفيد بالضرورة معنى الخيانة، خاصة إذا تجاهلت تلك الدولة العصبيات الأخرى وتعاملت معها بمبدأ "غالب ومغلوب"، وابتعدت عن مبادئ العدالة الاجتماعية.

2-عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، لبنان، مؤسسة دار الانتشار العربي، ط01، 2004، ص510. والحشم في اللغة:

(الحشم) حشم الرجل خاصته الذين يغضبون لغضبه ولما يصيبه من مكروه من عبيد أو أهل أو جيرة (ج) أحشام (الحشمة) حشمة الرجل قرابته والمرأة. المعجم المحيط (المكتبة الشاملة). وفي العربية لفظة "الحشم"، قيل إنها تعني المماليك والأتباع، مماليك كانوا أو أحراراً. وورد إن الحشم الأحرار، والقطين: المماليك. المفصل في تاريخ العرب (المكتبة الشاملة). الحِشْمة وهو الاستحياء والغضب أَيضاً وقال الأَصمعي الحِشْمَةُ إنما هو بمعنى الغضب لا بمعنى الاستحياء وحكي عن بعض فُصَحاء العرب أَنه قال إن ذلك لما يُحْشِمُ بني فلان أَي يغضبهم واحْتَشَمْتُ واحْتَشَمْتُ منه بمعنى قال الكميت ورأَيتُ الشَّريفَ في أَعْيُنِ النَّا س وَضِيعاً وقَلَّ منه احْتِشامي والاحْتِشامُ التَّغَضُّبُ وحَشَمْتُ فلاناً وأَحْشمْتُه أَي أَغضبته وحُشْمَةُ الرجل وحَشَمُهُ وأَحْشامُهُ خاصَّتُهُ الذين يغضبون له من عبيدٍ أَو أَهلٍ أَو جِيرةٍ إذا أصابه أَمر. لسان العرب (المكتبة الشاملة)

وتارة بلفظ "حشم" وكان لهم دور كبير في نقل الحكم إلى المعز بن باديس بعد وفاة والده باديس بن المنصور، خاصة عندما رأى بعض كبار قادة الجيش تقديم كرامة (أخ باديس). وفي هذا الصدد يقول ابن عذاري: "فلما رأى ذلك عبيد نصير الدولة ومن انضاف إليهم من سائر الحشم أنكروا ذلك."[1] فرضخ كبار القادة وجعلوا تولية كرامة مؤقتة حتى يعود الجيش إلى المهدية بعد أن هزم حماد في معركة شلف وحاصره في قلعته، فكانت وفاة باديس فرصة لفك الحصار.

حادثة ثانية تبين الاعتماد الكبير على هذا العنصر، عندما اكتشف شيعة القيروان الميولات السنية "المالكية" للمعز بن باديس وأوشكوا على قتله، لم يجد سوى عبيده ورجاله في الدفاع عنه والإجهاز على الشيعة.[2]

وفيما يشبه تبريرًا من طرف الأمراء الصنهاجيين في اعتمادهم على العبيد رغم انتماءهم إلى عصبية قوية، تدلنا حادثة تاريخية أن المعز بن باديس، يوم غزا الأعراب إفريقية وخرج لقتالهم تلقى هزيمة نكراء "إلى أن وصلت رماح العرب إليه، ومات من العبيد بين يديه خلق عظيم فدوه بأنفسهم. وأما بنو مناد وجميع صنهاجة وغيرهم من القبائل، فإنهم فَرُّوا[!]"[3] وفي موقعة جبل حيدران هزمته الأعراب كذلك، "وثبت المعز في طائفة من عبيده، ثم عاد إلى المنصورية."[4]

1-ابن عذاري، المصدر السابق، ص267.

2-يبدو كلام صاحب البيان عن هذه القصة غير مقنعا، خاصة في جزمه بأن افريقية كلها والقيروان على مذهب الشيعة وعلى خلاف السنة والجماعة، ففيه تناقض مع ما ذكره نفس المؤلف في نفس الكتاب وفي نفس الجزء من أن العامة في مدينة القيروان هاجمت جماعة من الشيعة تسكن دربا من دروب المدينة وقتلت منهم أعدادا كثيرة. وهذا دليل على أن العامة (وهم الأكثرية) لم يكونوا على مذهب التشيع.أنظر: ابن عذاري، نفس المصدر، ج01، ص، ص268، 273، 274.ألفرد بل، المرجع السابق، ص208.

3-ابن عِذاري، المصدر السابق، ص289-290.

4-ابن عذاري، نفس المصدر، ص292.

أما عند المرابطين فقد شاع مصطلح الحشم على نطاق واسع، وتعتبر فرقة الحشم من أهم مكونات الجيش المرابطي منذ فترة حكم يوسف بن تاشفين.[1] وكان هذا الأخير قد شكل فرقة من العبيد الأسود والأبيض،[2] خاصة وأن دولته قد توسعت ووصل امتدادها إلى مصادر بيع العبيد الأسود في بلاد السودان، والصقالبة في الأندلس. واستمر اعتماد الدولة عليهم سائر عهدها، فقد شكلوا نصيبا مهما من الجيش الذي قاتل الموحدين[3] طيلة النصف الأول من القرن 6هـ/12م.

لم تصرح لنا المصادر أن الدولة الحمادية اعتمدت على فرقة من الحشم أو العبيد كجزء من جيشها، على خلاف الفرق الصنهاجية، والزناتية، والأعرابية التي سبق الإشارة إليها. واكتفى بعض الباحثين بترجيح فكرة اعتماد الحماديين على فرقة من العبيد لوجود قرائن عديدة، أهمها:

-أن جيران الحماديين (المرابطين والزيريين) ثبت اعتمادهم على هذا العنصر مستغلين حركة القوافل التجارية وما كانت تجلبه من بلاد السودان، والمغرب الأوسط الحمادي من خلال مدنه[4] كان يمارس هذا النوع من النشاط التجاري، وبالتالي من المرجح أن أعدادا كبيرة من العبيد كانت تصل إلى الأمير الحمادي.

1-عبد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص513.

2-عبد الإله بنمليح، نفس الرجع، ص514.

3-بنمليح، نفسه.

4-من أهم مدن المغرب الأوسط التي ساهمت في العلاقات التجارية مع بلاد السودان مدينة وارجلان. للتوسع أكثر حول دور هذه المدينة اقتصاديا وفكريا في الفترة الوسيطة، أنظر: بوعصبانة عمر سليمان، معالم الحضارة الاسلامية بوارجلان، رسالة ماجيستير مرقونة، جامعة الجزائر، معهد أصول الدين، الجزائر، 1412هـ/1992م. حاج عيسى إلياس، مدينة وارجلان (دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية(4-10هـ/10-16م) مذكرة ماجيستير مرقونة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 1430هـ/2009م.

-أن التنظيمات السياسية والعسكرية للدولة الحمادية مشابهة لتنظيمات الدولة الزيرية، باعتبار أن أمراء الدولتين ينتميان إلى أسرة واحدة، وباعتبار أن الأولى انشقت عن الثانية، وبالتالي ثبوت اعتماد الزيريين على فرقة عظيمة من العبيد والحشم في المصادر المختلفة يجعل مقاربة اعتماد أبناء عمومتهم الحماديين على نفس العنصر أقرب إلى الصحة.

-اعتبار آخر نرى أنه ذو أهمية، يتمثل في إشكالية الولاء التي عانى منها كثيرا أمراء الدولة الحمادية منذ عهد حماد[1]، مما جعلهم يفكرون حتما في إحاطة أنفسهم بجماعة من العبيد والحشم يكون ولاءها للأمير فقط دون سواه، خاصة وهم يرون البلاء الحسن لهذه الطائفة عند جيرانهم شرقا وغربا. وهذا الشيء الذي يفسر ربما توجه أحد الباحثين بالقول بأن الناصر بن علناس اعتمد على قوة نظامية من عبيد السودان، بالإضافة إلى فرق أخرى في معركة سبيبة.[2]

-أوردت إحدى المصادر اعتماد يحي بن العزيز آخر الأمراء الحماديين وهو في إقامته بمراكش عند عبد المؤمن بن علي، على مجموعة من العبيد، وقد اشتكى الامير الحمادي من العنت الذي يلقاه عبيده من قلة صرف الأموال، وأنهم كانت لهم حرية صرف الأموال عندما كان في المغرب الأوسط.[3] ونرى أن هذه الحادثة تعتبر أهم قرينة صرَّح من خلالها أحد أمراء الدولة الحمادية امتلاكه مجموعة من العبيد في حالتين، حالة الإمارة وحالة الأسر، لكن الفرق بين

1-أشرنا في موضع سابق إلى هذا الإشكال الذي عبر عنه حماد بنفسه. أنظر الفقرة المعنونة: العناصر المكونة للجيش الحمادي، عنصر صنهاجة، ص04.

2-سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج03، الاسكندرية-مصر، منشأة المعارف، (د.ت)، ص454-455.

3-عبد الواحد بن علي المراكشي (ت647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط02، 1426هـ/2005م، ص145.

الحالتين يبدو في الكثرة والقلة. فإذا كانت وضعيته بهذا الشكل في حالة الأسر، فلنا أن نتصور كثرة العبيد من حوله وهو حاكم لدولة.

استقواء الحاكم بعصبيات أخرى

تأتي هذه المرحلة عادة عندما يرث الحاكم الجديد السلطة فيجد معارضة من بعض أفراد قبيلته، وأحيانا من أقرب الناس إليه كالأخ والعم.

للتأكيد على هذا العامل في دفع الأمراء على البحث عن عصبيات أخرى للاستقواء بها ما صرحت به بعض المصادر من أن المعز كان "كارها لإخوانه صنهاجة، محبا للاستبدال بهم، حاقدا عليهم."[1]

كما كان حماد مؤسس الدولة الحمادية نفسه طرفا في صراع بين أفراد البيت الواحد، باديس بن المنصور أمير صنهاجة من جهة، وأعمام أبي باديس وهم ماكسن، وزاوي، وجلالة، ومغنين، وأبي البهار، وعزم. واستطاع حماد من القضاء على ثورتهم. ثم مالبث أن ثار حماد على باديس لكنه انهزم في معركة وادي شلف.

تقييم في سقوط الجيش الحمادي

عادة في مرحلة ضعف الدول وهي المرحلة التي تسبق مرحلة السقوط تفقد الدولة أجزاءً من أراضيها، و تجد في كل حصن ثائر مستقل بأمره[2]، لكن وبالنسبة للدولة الحمادية لا يبدو أنها فقدت أراضي كثيرة أو عانت من حركات استقلالية قبل سقوطها. لقد عاشت هذه الدولة فترة طويلة نسبيا مقارنة بدول مغربية أخرى[3]. ويكاد يجمع الباحثون أن أهم عامل ساهم في

1-ابن عذاري، المصدر السابق، ص288.

2-ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص312.

3-دولة الاغالبة (184-296هـ)، دولة الفاطميين في دورها المغربي (296-361هـ)، دولة المرابطين (445-541هـ)، دولة الموحدين (541-668هـ)

استمرار هذه الدولة هو قوة عصبيتها وجيشها، وهي على خلاف الكثير من دول المغرب لم تتبنى فكرة واضحة المعالم عند انطلاقتها[1]

– لم تستقر على مبدأ ديني ومذهبي، فلقد كانت بدايتها مع مساندة الفكرة الشيعية، ثم سرعان ما انقلبت عليها في عهد حماد، ليعود ابنه القائد ويعلن الولاء للفاطميين، لتعود السلطة مرة أخرى إلى الدعوة العباسية. لكن وجب القول أن ظهور القلعة وبجاية ساهما في نصرة المذهب المالكي، على الرغم من التردد السياسي الذي لمسناه في السنوات الأولى من حكم الحماديين. لقد استقر المذهب المالكي في معظم مدن المغرب الأوسط مع وجود تجمعات اباضية في واحات وارجلان، وأسوف "وادي سوف"، وبادية بني مصعب "ميزاب". ويعزى الانتشار الواسع للمذهب المالكي إلى الارادة السياسية للسلطة الحمادية من جهة ومجهودات الفقهاء المالكية.[2]

– لم تستقر على مبدأ عصبي، حيث قامت الدولة على عصبية صنهاجة أساسا، ثم اعتمدت على عصبيات أخرى[3] على شكل تحالفات مع زناتة والأعراب، وقد لا حظنا أن تلك التحالفات كانت مؤقتة. وقد لا حظنا أن

1–نقدم نماذج لدول تبنت أفكارا دينية ومذهبية منذ انطلاقتها واشتهرت على هذا الأساس:

الدولة الرستمية قامت لنصرة المذهب الاباضي وإعلان إمامة الظهور.

الدولة الإدريسية قامت لنصرة آل البيت وأحقيتهم في الحكم

الدولة الفاطمية قامت لنصرة المذهب الشيعي ونشره في بلاد المغرب

الدولة المرابطية قامت لنشر الاسلام في الصحراء وبلاد السودان ثم تبنت قضية الجهاد في الأندلس

الدولة الموحدية قامت لنصرة فكرة المهدوية، وادعت محاربة التجسيم والعودة إلى مذهب السلف

2–علاوة عمارة، انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر) قراءة سوسيولوجية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، الامارات العربية المتحدة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، السنة الرابعة عشرة، العدد السادس والخمسون، يناير1427هـ/2007م، ص29.

3–من أهم صفات الدولة العصبية، هو الاعتماد أولا على عصبية رئيسية في ظهور الدولة، ثم يعمد الحاكم إلى عصبيات أخرى بهدف استمالتها من جهة، وإضعاف العصبية الرئيسية لتكون أكثر خضوعا لشخص الحاكم من جهة أخرى. علي خلاصي وآخرون، المرجع السابق، ص39.

الامراء الحماديون لم يضمنوا حتى ولاء صنهاجة لهم، وكانت الدولة مهددة بالزوال في عهد حماد![1] والناصر![2]

– لم تستقر على مبدأ العدل لما اشتهر به معظم الأمراء الحماديون من استباحتهم للدماء، إلا إذا استثنينا العزيز بن المنصور، ويحي بن العزيز آخر الأمراء الحماديين.

مثلا: عرف عن مؤسس الدولة حماد وأخاه ابراهيم سفكهم للدماء، وقتل الأطفال، وسبي النساء، وإحراق الزروع والمساكن[3]، وكان بلكين بن محمد بن حماد شجاعا جريئا على العظائم، سفاكا للدماء[4]، وكتب عنه ابن الخطيب نقلا عن ابن بسام صاحب الذخيرة أنه من جبابرة الأرض، وقاهر لرعيته، ومستبد زمانه[5]. عرف الناصر أنه جريء على سفك الدماء[6]. وعرف عن باديس بن المنصور أنه كان شديد البأس، عظيم السطوة، سريع البطش[7].

سقطت الدولة الحمادية بسقوط بجاية سنة 547هـ، والملفت أن الذي أسقطها هو جزء من جيش عبد المؤمن وليس كل الجيش، كما أنها سقطت عن غير قتال[8]! ودخلت مقدمة جيش الموحدين المدينة قبل وصول عبد

1-كان يمكن أن يقع حماد أسيرا لولا اشتغال جنود باديس بنهب الغنائم بعد معركة شلف. ابن الأثير، المصدر السابق، ج08، ص87.

2-وكان ممكنا أن يقتل الناصر في معركة سبيبة لولا أن فداه أحد إخوته بنفسه، عندما أخذ منه رايته وعمامته فلقي حتفه. مؤرخ مراكشي مجهول من مؤرخي ق6هـ/12م، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد-العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، ص129.

3-ابن الأثير، نفس المصدر، ج08، ص86.

4-ابن الخطيب، المصدر السابق، ص87.

5-ابن الخطيب، المصدر السابق، ص89. نقلا عن ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الجزء الأول من القسم الأول (ص158-161)

6-ابن الخطيب، نفس المصدر، ص96

7-ابن الخطيب، نفس المصدر، ص98.

8- تساءلنا من قبل عن سر عدم الالتزام الذي لمسناه عند أفراد الجيش الحمادي في مناسبتين على الأقل، الأولى في عهد حماد، والثانية في عهد الناصر، وإننا الآن نتساءل عن غياب هذا الجيش عندما زحف الموحدون على المغرب الأوسط.

المؤمن بيومين، وتتحدث المصادر عن تفرق جيش يحي بن العزيز وهروبه برا وبحرا.[1]

قائمة المصادر:

ابن الأثير (أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب بعز الدين) (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، ج08، تح: أبي الفدا عبد الله القاضي، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط01، 1407هـ/1987م

ابن الخطيب (لسان الدين)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط وهو القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح و تع: أحمد مختار العبادي و محمد ابراهيم الكتاني، الدار البيضاء- المملكة المغربية، دار الكتاب، 1964م

الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، حققه ونقله إلى الفرنسية محمد حاج صادق، Alger, office des publications universitaires, 1983

البيدق "أبي بكر بن علي الصنهاجي"، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، راجعه وحققه: عبد الوهاب ابن منصور، الرباط-المملكة المغربية، المطبعية الملكية، ط02، 1425هـ/2004م

الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد) (ت670هـ)، طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، تح: ابراهيم طلاي، (د.م)، (د.ن)، (د.ت(،

ابن خلدون (أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد) (732-808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، عَمَّان-الأردن، بيت الأفكار الدولية،

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، مقدمة ابن خلدون، تصحيح وفهرسة: أبو عبد الله السعيد المندوه 1/2، بيروت-لبنان، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط03، (د.ت.(

ابن عذاري المراكشي (ت بعد سنة 712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مج01، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط01، 2009

1-يرى ابن الأثير أن بجاية ليست وحدها التي سقطت من غير قتال، بل جميع بلاد بني حماد. أنظر وقارن بين: ابن الأثير، المصدر السابق، ج09، ص372. ابن خلدون، العبر، ص1643. أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، راجعه وحققه: عبد الوهاب ابن منصور، الرباط-المملكة المغربية، المطبعية الملكية، ط02، 1425هـ/2004م، ص74. المراكشي (ت647هـ)، المصدر السابق، ص144،145.

المراكشي (عبد الواحد بن علي) (ت647هـ) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط02، 1426هـ/2005م
مؤرخ مراكشي مجهول من مؤرخي ق6هـ/12م، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد-العراق، دار الشؤون الثقافية العامة

قائمة المراجع:

ألفرد بل، الفرق الاسلامية في الشمال الإفريقي، تر: عبد الرحمن بدوي، بيروت-لبنان، دار الغرب الاسلامي، ط03، 1987م
بنمليح عبد الإله ، الرق في بلاد المغرب والأندلس، لبنان، مؤسسة دار الانتشار العربي، ط01، 2004
بوتشيش ابراهيم القادري ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت-لبنان، دار الطليعة، ط01، 1998م
بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1397هـ/1977م
بوزياني الدراجي، العصبية القبلية، الجزائر، دار الكتاب العربي، ط01، 2003م.
جوليان شارل أندري ، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج02، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، الدار التونسية للنشر، النشرة03، 1985م
خلاصي علي وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الاسلامي إلى القرن 10هـ/16م، ضمن سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، 2007
الرفاعي أنور، النظم الاسلامية، دمشق-سوريا، دار الفكر، ط01، 1393هـ/1973م
زغروت فتحي، الجيوش الاسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، القاهرة-مصر، دار التوزيع والنشر الاسلامية، ط01، 1426هـ/2005م
سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج03، الاسكندرية-مصر، منشأة المعارف، (د.ت(
الطمار محمد، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010
علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الاسلامي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008م
عويس عبد الحليم، دولة بني حماد، القاهرة-مصر، دار الشروق، ط01، 1400هـ/1980م

المراجع باللغة الفرنسية

Kaddache Mahfoud, L'ALGERIE MEDIEVALE, ALGER-ALGERIE, SNED, 1982.

المذكرات والرسائل

بن النية رضا، صنهاجة المغرب الأوسط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الاسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 1426-1427هـ/2005-2006م

هيصام موسى، الجيش الحمادي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الاسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 2001-2002م.

المقالات

علاوة عمارة، انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر) قراءة سوسيولوجية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، الامارات العربية المتحدة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، السنة الرابعة عشرة، العدد السادس والخمسون، يناير1427هـ/2007م.